شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

٧

الجهاد

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

الجهاد [1] 1

- مفهوم الجهاد 2
- فضائل الجهاد 3
- النفور من الجهاد 4
- الجهاد وانتشار الإسلام 6
- الصحابة والجهاد 8
- أنواع الجهاد 9
- نصرة المجاهد وذويه 10
- ديمومة الجهاد 11
- أخطاء المجاهدين 11

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=wxRYPtBETE0

مفهوم الجهـــاد

لاشك أن الجهاد من دعائم الدين وفضائله وكذا من شعائره العظيمة بل جعله بعض العلماء من أركان الإسلام ، كما جاء في بعض الروايات من حديث حذيفة بن اليمان كما رواه المروزي وغيره.

وقد صنف العلماء في فضل الجهاد وأحكامه وآدابه مصنفات كثيرة جدًا .

وقد جعل النبي ﷺ الجهاد هو التالي للإيمان وذلك للحديث الذي جاء فيه "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ "[٢] .

والجهاد من المسائل التى دخل فيها مغلوطات كثيرة من جهة بيان الأحكام وسوء الفهم والتغييب ؛ لذا تحتاج إلى تبين وإيضاح وينبغي على العلماء وطلاب العلم تبين أحكامه وتصحيح الأخطاء العارضة عليه .

والمراد بالجهاد هو استفراغ الجهد وذلك أن الانسان يبذل جهده ووسعه لعمل شيء ما ، وذلك من جهة عمل الطاعات وترك المحرمات أو الدعوة إلى الله تعالى وبيان الحجة وهو داخل في جهاد النفس ولهذا يقول الله تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : 52] قال جماعة من المفسرين هو (جهاد اللسان)وهو بيان الحجة وبيان الدليل ورد طرائق أهل الأهواء ، ومن جهة أخرى هو جهاد القتال (جهاد السنان) وهو صلة المسلمين بعدوهم في مواضع القتال .

لذا ينبغي التعرف على أحكام الجهاد وآدابه وتفاصيله ولو لم يكن المسلم نافرًا في سبيل الله تعالى .

٢) رواه البخاري : كتاب الحج ، (1519) ، ومسلم (83).

فضائل الجهـــاد

لا يكاد الإنسان يجد شيئا من الأعمال والقربات والطاعات المتعدية تتساوى في فضلها مع ما جاء في فضل الجهاد.

وقد جاء في فضل الجهاد من النصوص الشيء العظيم منها :

1) قول الله تعالى ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 74].

2) قول رسول الله ﷺ " أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ "[٣]

3) قول رسول الله ﷺ "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا أَنَّ رِجَالا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ بِأَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا "[٤] وفي هذا تمنى النبي ﷺ أن يموت في سبيل الله تعالى ثم يعود للحياة فيقتل مرة أخرى وهذا لما يجده الشهيد من منزلة عالية ومكانة عالية ، ولم يتمنى النبي ﷺ الرجوع إلى الدنيا وهو في مقام النبوة وهي مرتبة شريفة ولو لم يمت شهيدًا بل تمنى ذلك تكرارًا في القتال في سبيل الله تعالى لما يدل على فضل الجهاد وأهميته وأثره في نصرة الدين باعتباره حفظ لضروريات الدين والنفس والمال والعرض ولوازم ذلك من جهة الأرض وحفظ حقوق المسلمين عامة .

4) قوله ﷺ في بيان فضل الجهاد في دفع النفاق "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ "[٥] يعنى أن الإنسان إذا لم يفكر بشعيرة الجهاد فهذا إشارة إلى وجود النفاق في قلبه .

5) قوله ﷺ "مِنْ خَيرِ مَعَاشِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً ، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتلَ ، أَو المَوْتَ مظَانَّه"[٦] .

---

٣) رواه البخاري : كتاب الحج ، (1519) ، ومسلم (83).
٤) رواه البخاري – كتاب الجهاد (2797) .
٥) رواه مُسْلم (3644) .
٦) رواه مسلم : كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (1503/3) رقم (1889) .

النفور من الجهاد

ترتبط شرعة الجهاد بشيء من كراهية النفس وذلك لقول الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : 216] ، وقوله تعالى ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة :41] وهذا الكره لشريعة الجهاد لما يتعارض مع النفس بما فيها من طمع وشره للدنيا وجهل بفضل الجهاد العظيم .

وفي قول الله تعالى ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 286] دلالة على وجود الكلفة و التكليف على قدر الطاقة والوسع ولهذا لما كان النفاق شديد على النفوس والطمع والشره في النفوس دل الجهاد على التمييز الذي يمايز به الله المسلمين عن المنافقين من جهة تغليب نصرة دين الله على حظوظ النفس ; فالذين يؤمنون بشريعة الجهاد ويفكرون بها ويؤمنون بها ولو لم يقوموا بها خرجوا بأنفسهم من شعب النفاق "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ "[٧] .

وكلما عَظُم الأمر عَظُم الأجر يعني لما عَظُم أثر الجهاد على نفس الإنسان عَظُم أجره ، فمثلا في صلاة الفجر يعظم الأجر لما فيها من ثقل على المنافقين ، وكذلك الوضوء بالماء البارد في الشتاء الشديد ، والمؤمن الحق هو الذي يغلب شريعة الله على هوى النفس.

وشريعة الجهاد تتعارض مع الشره وحب البقاء ؛ لذلك عظم أجرها وأجر العاملين بها بل وأجر المفكرين فيها وإن لم يعملوا بها ، باعتبار كونه علاقة على الإيمان في قلب الإنسان .

وقد جاء عن النبي ﷺ "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ "[٨] .

[٧]) سبق تخريجه انظر 5 .

[٨]) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج 3 /94) برقم الحديث (2595)، وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، وفي كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال .

يتضح من الحديث السابق التلازم حيث ذكر النبي ﷺ الطمع والشره ثم ذكر الجهاد وهما متضادان ، والله تعالى لا يشرع أمر إلا وهو خير للأمة ، فقد يفقد الإنسان حياته ولكنه لا يفقد حظًا ، فجعل الله له في الآخرة ما جعل النبي ﷺ يتمنى أن يعود فيقتل وهو في مرتبة النبوة وهو من قال "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ "[٩] .

والنفورمن الجهاد والكره الذي جاء في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : 216]يأتي أيضًا من جهة فقد المال ; فأكثر الناس سعة في المال هم أكثرهم نفرة من القتال والجهاد ، وما التولي يوم الزحف إلا مخافةً على بقايا الدنيا من نفسٍ أو مالٍ أو زوجٍ أو ولد ، ولهذا جاء " عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ قَالَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ قَالَ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ قَالَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقَسَّمُ الْمَالُ قَالَ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ "[١٠] .

وأعظم ظلم وقع على شريعة الجهاد في الزمن المتأخر أن كثير من الأمم تريد تغييب هذه الشريعة لتغليب حظوظ النفس ، ففي كثير من بلدان العالم محاولات لتغييب شريعة الجهاد وحذفها من الدواوين ، بل وصل بهم الأمر لطباعة مصحف نزع منه آيات الجهاد وآيات التشديد مع مخالفي المسلمين وأعدائهم ، والله حافظ دينه لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] وهذا التبديل ما كان ليكون إلا لشدة التعلق بالدنيا بشيء لا مثيل له سواء كان ذلك في أمة الإسلام أم غيرها من الأمم .

[٩]) رواه مسلم (6079) .
[١٠]) رواه النسائي (2124) ، وأحمد في المسند (15528).

الجهاد وانتشار الإسلام

الله تعالى أنزل على النبي ﷺ أمرًا عظيمًا وأمره بتبليغ الدين ، وتبليغ الدين له وجهان وجه الطواعية وهو الأصل ووجه الكراهة .

والابتداء في الدين من جهة الطواعية فكما قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾ [الذاريات :56] قال العلماء يعبدون الله سواء طوعا أو كرها .

والله تعالى يعلم اختلاف العقول وشتاتها فأنزل حكما وأمر الأمة بالنزول إليه إما بالطواعية وهذا الأصل أو بالكراهية .

والأصل في الدعوة (الطواعية) لا (الكراهة) ; ولذلك دعا النبي ﷺ بلسانه ثم دعا بسنانه ، فالدعوة انتشرت باللسان وانتشرت بالسنان جميعًا ، ومن يقول بانتشار الاسلام باللسان فقط فهذا من المفاهيم الحادثة الخاطئة ، فقد قال حسان بن ثابت في مدح النبي ﷺ :

دعا المصطفى دهرًا بمكةَ لم يُجب وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيفُ صلتٌ بِكفِّهِ له أسلموا واستسلموا وأنابوا [11]

فهناك من الناس من ينقاد للنظام طواعية و هناك أناس ينقادون مخافة إنزال العقوبة وهذا أمر فطري تؤمن به كل العقول ، فإنزال العقوبة لأمر الانضباط أمرٌ فطري حتى الملاحيد يعلمون بهذه الفطرة و يؤمنون بها ،ولذلك جاء عن النبي ﷺ كما في مسند أحمد لما وفد عبد القيس وقدموا رسول الله قال ﷺ" يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَكْرِمُوا إِخْوَانَكُمْ فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْبَهُ شَيْئًا بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مَوْتُورِينَ إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسْلِمُوا حَتَّى قُتِلُوا "[12] حيث دخلوا في الإسلام دون قتال كسائر القبائل ممن آمنوا مخافة الرسول ﷺ، ففطرة الإنسان مجبولة على المكابرة والقلوب تحتاج إلى فتح المغاليق .

١١) انظر : مجموع الفتاوي ، 184/3، و204 ذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز : أن هذا الشعر يُروى لحسان بن ثابت رضي الله عنه.
١٢) رواه أحمد في المسند ، ج3(432).

والمغاليق إما أن تكون طمع دنيا وإما أن تكون وهم سيادة ، والنبي ﷺ دعا أقوام كقوم كسرى وقيصر منهم من آمن بقلبه في ذاته ولكن كابر ؛ ولهذا شُرِع في الإسلام أمور لفتح مغاليق القلوب .

ومغاليق القلوب تفتح من جانبين :

جانب التأليف : كإنفاق المال لكسب القلوب ولهذا جاء من مصارف الزكاة المؤلفة قلوبهم كما في الحديث **" مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا ، إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ "**[١٣] يعنى أن وراءه من المال ما لا يخشى الفقر بعده .

وجانب القوة : وهو إزالة الحجب التى تكون على القلب لتظهر الحجة للقلب من غير حائل .

فقلوب الناس إذا صدأت بالباطل تحتاج إلى إزالة هذا الصدأ بالقوة والنفرة ، فمثلاً الإنسان إذا كان في ظلمة وخرج إلى النور يجد نُفرة ولكن إذا امتنع من ذلك لوجود هذه النفرة ودُفع إلى النور ليطمئن به فإنه يسكن إليه ولا يمكن أن يعود للظلمة مرة أخرى .

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا فكان الرجل ليأتي رسول الله ﷺ وهو أبغض الناس إليه ، فيخرج من عنده ما يجد على وجه الأرض من هو أحب إليه من رسول الله ﷺ.

لهذا شرع الجهاد لا لإثبات الحجة لا لتقريرها ولكن لإزالة الحجب من القلوب ; فالقوة لا تغرس الحق وإنما تُزيل الموانع عن وصول الحق إلى القلب .

وهناك أمثلة كثيرة سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول الإسلامية شرقًا وغربًا منهم من دخل في الإسلام طوعًا ومنهم من دخل كرهًا.

وثمة نظرة طرأت على العالم الإسلامي فمع وجود الاستعمار ظهرت مدارس تقول بعدم وجود جهاد الطلب ولا تقر إلا جهاد الدفع والدفاع عن النفس فقط مما يشترك فيه حتى الحيوان وبهذا يخرجون الإنسان من دائرته الإنسانية إلى دائرته الحيوانية التى يشترك فيها مع سائر البهائم والأنعام .

[١٣]) رواه مسلم (2312) ، واحمد في "المسند" (14061).

الصحابة والجهاد

لقد كان البون بين القدرة المادية للصحابة وبين أعدائهم من الفرس وغيرهم أعظم من البون في القدرة المادية بين المسلمين المتأخرين الآن وخصومهم ، فكما جاءَ "عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةُ حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ "[١٤] أشار النبي ﷺ الى أن هذه المناديل التى يعجب منها الصحابة وهي التى في زماننا يلبسها أسياد الغرب وما يفوقه وبرغم هذا البون الشاسع في أمر المادة ينتصرون ويتمكنون لأن متاع الدنيا صغر بأعينهم ، وذلك أن العزة والتمكين إنما ثبات وقوة للإيمان قبل أن تكون نصرة مادية .

وقد جاء في الأثر (خرج عمر بن الخطَّاب إلى الشَّام ومعنا أبو عبيدة ابن الجرَّاح، فأتوا على مَخَاضَة وعمر على ناقةٍ، فنزل عنها وخلع خفَّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة؛ فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفَّيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك!فقال عمر: أوه! لو يقُلْ ذا غيرُك أبا عُبيدة جعلتُه نكالاً لأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم! إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلامِ، فمَهما نَطْلُب العِزَّ بغيرِ ما أعزَّنا اللهُ به أذلَّنا الله "[١٥] وفي هذه القصة إشارة إلى اضمحلال الدنيا في قلب عمر الذى يملك جزيرة العرب ويملك الشام والعراق ومصر اضمحلالاً شديد جدًا وتعظيم لنصرة الله تعالى ودينه في قلبه .

ولهذا لم يكن النبي ﷺ يولي أحدًا إلا من ثبت من جهة قوة إيمانه وبصيرته ودرايته ، والخلفاء الراشدون كانوا لا يخافون قلة العدد والعدة وإنما كانوا يخافون قلة وضعف الإيمان .

ولهذا لما ضعف الإيمان في قلوب الناس قوى عليهم من هم أضعف منهم وهم اليهود الذين لا يقاتلون إلا من وراء الجدر، فلزم على المسلمين مراجعة أنفسهم من جهة الإيمان .

[١٤]) رواه مسلم (4514) .
[١٥]) رواه الحاكم في المستدرك (61/1)عن طارق بن شهاب .

أنواع الجهاد

ينقسم الجهاد إلى جهاد النفس وجهاد القتال من جهة النوع ، وينقسم إلى جهاد الدفع وجهاد الطلب من جهة التشريع .

جهاد الطلب :

يقول الله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : 39] إشارة إلى جهاد الطلب .

ويقول ﷺ "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النّاس حتّى يشْهدُوا أَنْ لا إِله إِلّا اللهُ، وأَنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِّ، ويُقِيمُوا الصّلاة، ويُؤْتُوا الزّكاة، فإِذا فعلُوا ذلِك عصمُوا مِنِّي دِماءهُمْ وأَمْوالهُمْ إِلّا بِحقِّ الإِسْلامِ، وحِسابُهُمْ على اللهِّ"[١٦] .

وجهاد الطلب هو طلب المشركين في مواضعهم لدعوتهم للتوحيد والدخول في الإيمان كما في الحديث السابق .

كما أن لجهاد الطلب ضوابط وهو قدرة المسلمين من جهة ، ووجود ولي أمر يأتمرون بأمره من جهة أخرى ، بحيث إذا قام كل فرد بطلب ما يشاء صار التمزق ، ولذا أمر النبي ﷺ بطاعة القائد وولي الأمر وعدم مخالفته ، ولابد من عرض الإيمان علي المشركين قبل القتال، ثم عرض الجزية وألا قاتلوهم بعد الامتناع عن هذه الأمور.

جهاد الدفع :

جاءت الأدلة في جهاد الدفع كثيرة ومتواترة ففي الحديث "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ "[١٧] إشارة إلى جهاد الدفع .

ولا شروط لجهاد الدفع عند العلماء فلا إذن ولي أمر ولا إذن والدين ولا قدرة ولا غير ذلك لأن الإنسان لا يحتاج لإذن ليدافع عن نفسه ولو كان دفعاً يسيرًا .

---

١٦) رواه البخاري : الجهاد والسير (2786)، ومسلم : الإيمان (21)،والترمذي :الإيمان (2606) ،والنسائي: تحريم الدم (3971)،وأبو داود :الجهاد (2640)،وابن ماجه: الفتن (3927)، وأحمد بن حنبل في مسنده (11/1).

١٧) رواه أبو داود (2 / 275) والنسائي(4095) والترمذي (2 / 316) وصححه، وأحمد (1652) عن سعيد بن زيد.

وقد جاء عَنْ قَابُوسَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِينِي فَيُرِيدُ مَالِي ، قَالَ : ذَكِّرْهُ بِاللهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَذَّكَّرْ ؟ قَالَ : فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَوْلِي أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِالسُّلْطَانِ ، قَالَ : فَإِنْ نَأَى السُّلْطَانُ عَنِّي ؟ قَالَ : قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ "[18] فأمره النبي ﷺ بالمدافعة والقوة .

ولكن في الحديث إشارة إلى أن الإبتداء يكون بالتذكير بالله تعالى ثم الاستنصار بالمسلمين ثم الاستنصار بالسلطان ثم إذا أعرضوا وأعرض وجب عليه الدفع ، وهذا من الأمور التى يقرها العقل فكيف بها وقد صادقها النقل ، ولهذا يقول تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج :39] .

وثمة لوازم تتولد من خطأ فلازم الخطأ غالبًا يكون خطأ ، فلوازم التشديد والتفريق والعرقيات والجنسيات وفوارق البلدان غطت على جانب الوحدة الإسلامية التى لا ينبغى أن يكون هناك وحدة أعلى منها فلابد للمسلمين من نصرة إخوانهم المسلمين المستضعفين وأن يكونوا عونا لهم وكلٌ على طاقته ووسعه.

نصرة المجاهد وذويه

نصرة المجاهد في عرضه وماله من عظائم الأعمال فإن التعدي على حرمة المجاهد أعظم من التعدى على حرمة غيره ; فالتعدي على زوجة المجاهد أو التعدى على ماله واستغلال غيابه هذا من أعظم الظلم ، ولهذا ينبغى على المسلمين نصرتهم بل ينبغي على المسلمين أن يخلفوهم خيرًا .

وقد جاء في الحديث "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا "[19] فكان ذلك من أعظم مراتب الجهاد في سبيل الله باعتبار أن جهاد المال من أعظم الأعمال عند الله تعالى .

[18]) رواه النسائي (4081) .
[19]) رواه البخاري (2843) واللفظ له ، ومسلم (1895) .

ديمومة الجهاد

جهاد الطلب باقي إلى قيام الساعة وذلك لقول الله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله ﴾ [الأنفال : 39] ، والنصوص في ذلك متواترة ، ولعل من أجلاها وأعلاها .

1) قوله ﷺ "أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاس حتّى يشْهدُوا أنْ لا إله إلّا اللهُ، وأنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِّ، ويُقِيمُوا الصّلاة، ويُؤْتُوا الزّكاة، فإذا فعلُوا ذلِك عصمُوا مِنّي دِماءهُمْ وأمْوالهُمْ إلّا بِحقِّ الإِسْلامِ، وحِسابُهُمْ على اللهِّ"[٢٠] .

2) قوله ﷺ "لَا تَزَالُ عِصابَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ علَى أبوابِ دِمَشْقَ ومَا حَوْلَهُ، وعلَى أبوابِ بيتِ المَقْدِسِ ومَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُم خِذْلانُ مَن خذَلهم، ظَاهِرِين علَى الحَقِّ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ"[٢١] .

3) قوله ﷺ " لا يزالُ الجهادُ حلواً خضراً ما أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ ، وسينشأ نشوء من قبلِ المشرقِ يقولون : " لا جهاد ولا رباط أولئك هم وقودُ النارِ بل رباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من عتقِ ألفِ رقبةٍ ، ومن صدقةِ أهلِ الأرضِ جميعاً "[٢٢] وقد جاء ما يعضد هذا الحديث الأخير وإن كان في إسناده ضعف .

وهذه الديمومة ديمومة تشريع وعمل لا ديمومة بُقع ، فقد ينتقل الجهاد من مكان لأخر بحسب ورود شروطه وتوفره وانتفاء موانعه .

أخطاء المجاهدين

تؤخذ أحكام الجهاد من كتاب الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ ، ووجود أخطاء للمجاهدين من الأمور الفطرية ، وقد وقع هذا من بعض الصحابة كما جاء عن خالد بن الوليد لما قتل الأسرى ، وذُكر فعله للنبي فتبرأ ﷺ من فعله قال "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ"[٢٣] ولكن لم يؤثر هذا على شريعة الجهاد .

وأخطاء المجاهدين تُصحح لنكون عونًا لهم لا نكون عونًا للشيطان من جهة هدم التشريع ، ولعل من أهم أسباب هذه الأخطاء هو إلغاء الشريعة وإعمال العقل والاجتهادات الخاطئة وذلك لانعزال الحاكم والمفتى فانعزلوا ومُنِعوا من جهة فتواهم ، وحينئذ وقع الخلل ، وعلي ذلك فاللوم تشترك فيه الأمة من جميع جوانبها.

---

[٢٠]) سبق تخريجه انظر 16 .
[٢١]) أخرجه أبو يعلى (6417) ، والطبراني في الأوسط (47) ، وابن عدي في الكامل 84/7.
[٢٢]) أخرجه ابن عساكر (347/43) وفي إسناده يزيد بن أبان الرقاشي .
[٢٣]) رواه البخاري(7189) وذكره كذلك في الصفحة 4339، و النسائي(5405).